حفريات

حوارات

التطرف: الأسباب وطرق المواجهة

مازن أكثم سليمان:

الاستبداد الديني يتحالف مع السياسي بالإقصاء والتطرف والتعصب

حاورته : أنجيل الشاعر
كاتبة سورية

قال الشاعر والأكاديمي السوري الدكتور مازن أكثم سليمان إنّ الاستبداد الدينيّ هو عامل موضوعيّ يتحالف مع الاستبداد السِّياسيّ في وحدة التَّكفير والإقصاء والتَّطرُّف والتَّعصُّب. منوهاً إلى ضرورة قراءة صعود التَّسييس الدّينيّ بوصفِهِ حقبة صيرورانيّة مَرحليّة غير نهائيّة أو مُغلَقة.

ويرى سليمان، في حواره مع «حفريات»، أنّ الثَّورات والحروب تُمثِّل فرصة بالغة الأهمّية والتَّعقيد كي يُقدِّم الشعراء اقتراحات فنِّيّة وجماليّة ذات أبعاد مَعرفيّة وفقَ آليّات شِعريّة مُتعدِّدة، مؤكداً أنّ حركيّة الثَّورات نفسَها هيَ حركيّة توليديّة فلسفيّة تنطوي نظَريّاً ووقائعيّاً على مَخاضات (فلسفيّة) تفكيكيّة وتأسيسيّة في الوقت نفسه، موضحاً أنّ هذه الحركيّة لا تخلو من مكر التاريخ وإيلامِهِ الحادّ من ناحية، ومن تخليق طويل الأمَد للمُستقبَل العربيّ الحرّ الدّيمقراطيّ المأمول من ناحية أخرى.

والدكتور مازن أكثم سليمان شاعر وناقد سوري، حاصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الأدبية من جامعة دمشق، صدر له ديوان شعر عن دار الفاضل بدمشق العام ٢٠٠٦ بعنوان: «قبلَ غزالة النّوم»، وأطلق بياناً شعرياً العام ٢٠١٥ بعنوان : «الإعلان التخارُجي».

> **الشعر مرتبط بسياق تأريخيّ خطّيّ تراكُميّ من ناحية وبفَجوة انفتاح تكرِّرُ الاختلاف في كُلّ عصر**

يتميز بموسوعية كتاباته؛ حيث بدأ بنشر الشعر والدراسات النقدية منذ العام ١٩٩٩، ونشر في السنوات الأخيرة عشرات القصائد والنصوص والمقالات والدراسات النقدية والفكرية والفلسفية في الجرائد والمجلات والمواقع العربية، ولديه عدد من المخطوطات المختلفة قيد الطباعة.

وهنا نص الحوار:

*** بدايةً: كيف تقدم نفسك وتجربتك؟ وفي أي حقل تجد ذاتك أكثر: في الشعر أم النقد أم الفكر؟**

أقدِّم نفسي بوصفي إنساناً سوريّاً عربيّاً كونيّاً ولِدْتُ في عصر قاسٍ، وفي منطقة هشّة سياسيّاً واجتماعيّاً، وحمَلْتُ على عاتقي جُملة هموم ثقافيّة وفكريّة محلّيّة وعالَميّة، وما زلتُ أعمَل وأحلُم وأُصارِع في هذا الواقع الصَّعب. وما من فرقٍ عندي أو حُكم قيمة تفضيليّة بالمَعنى المعرفيّ العام بأن يكون نتاجي أو اقتراحاتي المُختلِفة مُنجَزَةً في أيِّ حقل من الحقول التي أخوض بها، مع التَّأكيد حتماً على الخُصوصيّة النظَريّة والإجرائيّة لكُل حقل منها على حدة، لكنْ يبقى لديَّ همّ ثقافيّ ووجوديّ جامع في الإطار الكُلِّيّ، وتقاطُع في مَسارات العمَل يؤدّي إلى توالُد الرُّؤى

والأفكار وتفاعلها بين جميع هذه الحقول عبرَ عمَلٍ مُتوازٍ نوعيّاً يتقدَّم هُنا أو يتأخَّر هُناك.

*** بدأت حياتك الكتابية شاعراً، ما تعريفك للشعر؟**

هذا سؤال غير قابل للاختزال أو الحسم دلاليّاً في إطار نهائيّ ومُغلَق، فالشعر مرتبط بسياق تأريخيّ خطّيّ تراكُميّ من ناحية، وبفَجوة انفتاح تكرِّرُ الاختلاف في كُلّ عصر وفي كُلّ مرّة، وقد عرَّفتُ الشعر تعريفاً أوَّليّاً عامّاً في بَياني الشِّعريّ (الإعلان التَّخارُجيّ) قلتُ فيه: «إنَّهُ الانفتاحُ الدّائمُ في عُقر دار الوجود، وهو الصّراعُ الذي لا يُستَنْفَد. وجودُهُ علَّتُهُ، وعلَّتُهُ لا تنفصِلُ أبداً عن أسئلةِ الحداثة وكينونةِ التَّجديد وحُلمِ المُجاوَزة والانبثاق نحوَ المَجهول. لهذا يحمِلُ في أصل تكوينه لعْنَتَهُ العظيمة وخُلودَهُ العتيق، ويعيشُ بلا هوادة أزمَتَهُ الوجوديّة المُلِحّة: أن يكونَ مَسْكَنَ الجَمال الحيّ وشمسَ الأصالة الكاشفة! فالشِّعرُ مأزومٌ بما هو التباسٌ جدَليٌّ بينَ زمن الوجود في العالَم وزمنه الخاصّ، وكُلُّ انقطاعٍ تراكميّ يعتري تاريخه في حقبةٍ ما أو في عصرٍ ما، يُسَوِّغ لهُ الخِيانة مثلما يدعوه إليها كُلّ اتصالٍ تراكميّ يدَّعي التّماسُك! فمن طبيعة الشِّعر المُتجدِّدة أن تهترئَ أسئلتُهُ في فَجوات الوجود، وحينها عليه بكُلِّ جسارةٍ أن يُواجِهَ اختبارَ القطيعة: والقطيعةُ ابنةُ النَّسْفِ البارّة، وشريكةُ العُلُوِّ المُخاتِلة؛ ذلكَ أنَّ الأزمةَ بوصفها نداءَ التَّجديد والإشراق هيَ دائماً عُلُوٌّ: إنَّها باستمرارٌ حركةٌ -نحوَ- الانفصال، وبحثٌ دؤوبٌ عن كينونةٍ حُرّة، وتخفُّفٌ لا نهايةَ لهُ من كُلّ اطمئنانٍ للمُنْجَز».

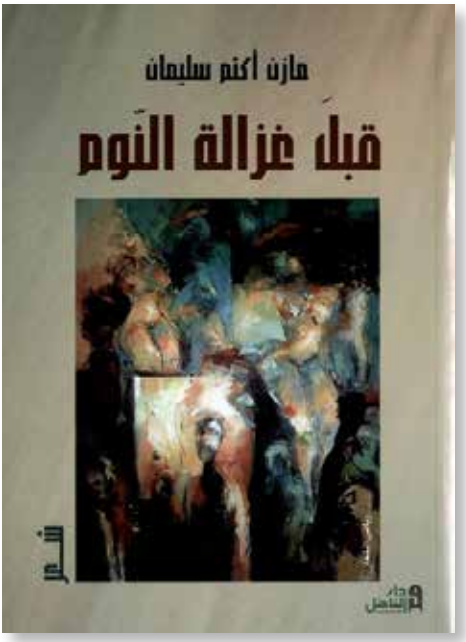

ديوان «قبلَ غزالة النّوم»

في خطـوة تبـدو غريبـة أو نـادرة عـلى أقـل تقديـر، أطلقت بيانـاً شـعرياً العـام ٢٠١٥، مـا دوافعـك الكتابيـة والواقعيـة لنـشر هـذا البيـان؟

منـذ بدايـاتي الشِّـعريّة كنـتُ شـديد الاهتمـام بنظَريّـة الشِّـعر؛ حيـث تشـابَكَ عمَـلي النـصِّيّ الشـعريّ مـع عمَـلي النَّظَـريّ المَعـرفيّ في ديناميـة جدَليـة كانَ يُطـوِّر كُلّ طـرف منهـا الطـرف الآخَـر، فأنـا مؤمـن تماماً على المُستوى الـكُلِّيّ بـضرورة أن يُقـدِّم كُلّ شـاعر اقتراحَـهُ النظَريّ المُواكـب لتجربتِهِ الشِّـعريّة، وأن يُعـاد الاعتبـار للتقاليـد التَّنظيريّـة الخاصّـة بالشِّـعر، بمـا يؤصِّـل مـن ناحيـة التَّجربـة الشِّـعريّة، ويفتـح في الوقـت نفسِـهِ آفـاق هـذِهِ التَّجربـة عـلى العلـوم الإنسـانيّة، فضـلاً عـن هاجـسي الشَّـخصيّ المُرتبـط بالعـصر المُتشـظّي الـذي أنتمـي إليـه، وهـو هاجـسٌ لطالَمـا حضَّـني عـلى البَحـث عـن فعـل تأسـيسيّ يقـومُ بـه الشِّـعر وجوديّـاً وكونيّـاً، وبمـا يلتقـي مـع سـعيي الـدَّؤوب لتحقيـق المُجـاوَزة والتَّباعُـد والاختـلاف.

*** ما الصلة التي تجمع بين كتابتك للشعر، وتنظيرك له، وعملك في حقل النقد الأدبي؟**

ممّا لا شكّ فيه أنَّ الصِّلة عميقة بين تجربتي الشِّعريّة التي كانَ لها دور كبير في تخليق عناصر محوريّة في رؤيتي لنظَريّة الشِّعر، وتجربتي النَّقديّة التي تأسَّسَ جانب مهمّ منها على تلكَ التَّجربتين، لكنَّ المَسألة أبعد من النَّظَر إليها بوصفِها حركيّة مَعرفيّة في اتّجاه واحد؛ إذ لا أستطيع أن أتناسى اشتغالي الشَّخصيّ طويلاً على النظَريّات النَّقديّة والفلسفيّة الحديثة والمُعاصِرة، وهو الأمر الذي أغنى تجربتي الشِّعريّة والتَّنظيريّة، لذلكَ تبدو العلاقة جدليّة تفاعُليّة إلى حدّ بعيد بينَ هذِهِ المَحاوِر المَفتوحة على أسئلة مُتبادَلة ومُحرِّضة على الدِّربة والمُكابَدة والتَّخليق في كُلّ الاتّجاهات.

*** ما الفرق بين ما تنشره في كتاباتك تحت صفة الشعر، وما تنشره تحت صفة النصوص؟**

أنا بصدد نشر مُقدِّمة نظَريّة قريباً أشرَحُ فيها رؤيتي لمشروع الكتابة الجديدة التي تتقاطَع مع مشروع الشعر في جوانب، وتتجاوَزُهُ في جوانب أخرى في الوقت نفسه، فإذا كانَ الشعر التَّقليديّ ينتمي إلى علم جمال الخطابة، ومشروع الكتابة الحداثيّة وما بعد الحداثيّة ينتميان إلى علم جمال الكتابة، فإنَّني أرى أنَّ الكتابة الجديدة تتجاوز الحداثتيْن معاً بوصفِهما فصلتا اللُّغة عن الوجود، وهو الأمر الذي أشرْتُ إليه جزئيّاً في

بَياني الشِّعريّ الأوَّل، ولهذا يأتي مَشروعي في الكتابة الجديدة للعمَل على تجذير عالم النُّصوص في عالم الوجود، وفتح هذا العالم ليسَ فقط على مختلف الأجناس الأدبيّة؛ وإنَّما أيضاً على مُختلَف الحقول المَعرفيّة، وفي مُقدِّمتِها الفلسفة؛ إذ تجاوَزَ الفكر الإبداعيّ والفلسفيّ عبرَ محطّات حديثة ومُعاصِرة الثُّنائيّة التَّقابليّة القائمة على حدِّيّة الفصل بينَ (الشعر/المجاز) و(الفكر/الحقيقة).

*** تقدم في بيانك الشعري، ودراساتك النقدية والفكرية، مصطلحاً جديداً ومبتكراً، هو: «النِّسْيَاق». هل يمكن أن تشرحه باختصار، وأن تبين فوائده في دراسة الشعر والأدب؟**

أسَّستُ مَفاهيم هذا المُصطلح انطلاقاً من مُصطلح «DASEIN» الألمانيّ، الذي يعني وجود الموجود البشري في العالم، فاشتققتُهُ على وزن «فاعل: دَازِن»، ونقلتُهُ لتفسير آليّة تخليق النُّصوص الشعريّة بوصفها مُحايثة وجوديّة تخارُجيّة تتراكَبُ جدَليّاً بينَ قصديّة الذّات المُؤلِّفة الموجودة في العالَم الوقائعيّ، وقصديّة الذّات المُؤلِّفة الموجودة في عالم النَّصّ الافتراضيّ، وهكذا فرَّقتُ إجرائيّاً لا حدِّيّاً في عالَم الشِّعر -عبرَ هذا الفَصْم الجدَليّ للدَّازِن- بينَ الذّات الشّاعرة الوقائعيّة، والذّات الشِّعريّة الافتراضيّة، لتكون مُحصِّلةُ هذه التّخارُجيّة المُنفصِمة بين القصديَّتيْن المُتجادلتيْن للدّازِن المُبدِع فتْحَ أساليبِ وجودٍ جديدة ومُختلِفة في عالَم النصّ بما هوَ يُمثِّلُ ما اصطلحْتُ عليه بعالم «النِّسْيَاق».

سليمان: الضَّرورة تحكُم المُثقَّف العربيّ بمُواجهة الأسئلة الكيانيّة المَصيريّة ليسَ عربيّاً فحسب بل عالَميّاً

إنَّ فَهْم «عالَم النِّسْيَاق» ينهَضُ في المَنهج «التَّخارُجيّ النِّسْيَاقيّ» على آليّات مُقارَبة وقراءة وتحليل تسعى إلى حدٍّ كبير إلى تعزيز سِمَةِ الاستقلاليّةِ النِّسبيّة للنَّصّ عن مُؤلِّفِهِ، وعن عالَمه الوقائعيّ، من دون أنْ يُلغِيَ ذلكَ صِلَةَ النَّصّ بهِما، وهيَ صِلةٌ قائِمةٌ على جُملة تراكُبات انزياحيّة تنفتِحُ عبرَ حركيّة الخَلْق الإبداعيّ التَّخارُجيّة المُحايِثة في عالَم «نسْيَاق» النَّصّ. فالنِّسْيَاق عالَمٌ ينفتِحُ على مُجاوَزة ثُنائيّة (سُلطة المؤلِّف - موت المُؤلِّف) بما هيَ ثُنائيّة مُؤسَّسة على الفَهم الحدِّيّ التَّقابُليّ والميتافيزيقيّ لثُنائية (الخارِج/ القراءة السِّياقيّة)، و(الدّاخِل/ القراءة النَّسَقيّة)، ليحُلَّ محلَّهُما هذا العالَم الجديد: «عالَمُ الدَّازِن النِّسْيَاقيّ»؛ وذلكَ بما هوَ عالمُ انبساط أساليب وجود الدّازِن المُتخارِج الذي يُخلِّف في فعلِهِ التَّخارُجيّ المُنفصِم

> **تتحالَفُ المركزيّاتُ الفوقيّة البطريركيّة للأكثريّة والأقلّيّات لإدامة لعبة التَّدجين الشَّعبيّة للجُموع التي يتمُّ تحريكَها غرائِزيّاً**

تلكَ الرُّؤى التي تفصل اللُّغة عن الوجود، والتي كانَتْ ترى عالَمَ النَّصّ إمّا بوصفِهِ فعلاً تعبيريّاً أنجزَتْهُ ذاتٌ وقائعيّة (سياقيّة) واعية ومُتحكِّمة به تحكُّماً مُسَبَّقاً ومُتعالياً عبرَ(مَركزيّةُ المُؤلِّف: السُّلطةُ الشُّموليّةُ للذّات)، أو بوصفِهِ بِنية (نسَقيّة) لُغويّة لا شُعوريّة مُتماسِكة، ومُكتفية بذاتِها، ومُنفصِلة عن المُؤلِّف، ومُتعالية على الوجود في العالَم (موتُ المُؤلِّف: المَحْوُ الشُّموليُّ للذّات).

وهكذا، تنبثِقُ المَنهجيّة التَّخارُجيّة النِّسْيَاقيّة، وتُمارِسُ مُقارَباتِها النّصِّيّة عبرَ آليّات استنطاق تأويليّة حثيثة تُقلِّبُ بلا هوادة «عالم النِّسْيَاق» بوصفه عالَماً يطوي في أساليب وجودِهِ المُتراكِبة تشابُكاً جدَليّاً مُعقّداً بين (السِّياق والنَّسَق) في آنٍ معاً، بحيث يحاولُ هذا المَنهج قدْرَ المُستطاع أنْ يُفكِّكَ في القراءة مدى سيادة الطُّغيان الميتافيزيقيّ القائم إمّا على تسلُّط شُموليّ لمَركزية الذّات المُؤلِّفة، أو على مَحْوٍ شُموليّ لوجود تلكَ الذّات مَحْواً تاماً، وهوَ بهذهِ الآليّة يستطيعُ أنْ يلِجَ منطقةً إبداعيّة شديدة التَّكثيف والغُموض في عَوالِم النُّصوص، وذلكَ لتتبُّعِ مَسارات الخَلْق النِّسْيَاقيّ للذّازِن التَّخارُجيّ المُنفصِم، الذي يُفترَضُ أنَّهُ كابَدَ في فعل الكتابة

صراعـاً جدَليّـاً ضاريـاً بـين شَـهوة حُضـور سُـلطة الـذّات المُؤلّفـة الوقائعيّـة، وشَـهوة حُضـور سُـلطة الـذّات المُؤلّفـة الافتراضيّـة.

*** تـكاد تكـون النّاقـد الوحيـد الـذي قـدم، حـتى الآن، سلسـلة دراسـات نظريـة وتطبيقيـة عـن الشـعر في زمـن الثـورة والحـرب، مـا دوافـع هـذا التوجـه؟**

مـا مـن شـكّ أنَّ الثَّـورات والحـروب تُمثِّـل فرصـة بالغـة الأهمّيـة والتَّعقيـد كي يُقـدِّم الشـعراء اقتراحـات فنّيّـة وجماليّـة ذات أبعـاد مَعرفيّـة وفـقَ آليّـات شِـعريّة مُتعـدِّدة، وقـد تراكَـمَ المُنتَـج السُّـوريّ الشـعريّ في زمـن الثَّـورة والحـرب، وكان لا بُـدَّ للنَّقـد أن يبـدأ بدراسـة هـذا المُنتَـج وتفكيكـه، والسَّـعي إلى مُحاوَلـة رسـم ملامـح تيّاراتِـهِ ومرجعيّاتِـهِ النظَريّـة والإجرائيّـة، ومـدى تحقيـق إضافـة نوعيّـة مُفترَضـة في تأريـخ الشـعر، وهـيَ مُحاوَلـة مَفتوحـة على المُسـتقبَل والمُراجَعـة والتَّنقيـح المُسـتمرّ، فضـلاً عـن كـوني أعـدّ شـخصيّاً مثـل هـذا العمَل واجبـاً وطنيّـاً وأخلاقيّـاً وثقافيّـاً عـليَّ، مُتمنيـاً أن يكـونَ قـد أسـهَمَ جهـدي في إغنـاء فعـلِ الثَّـورة، وفي تثمـين مَردوداتهـا، وتجذيـر حُضورهـا في المَجـالات المُختلِفـة، ومنهـا الإبـداع ونقـده.

*** نظَّـرتَ في مقـالات كثـيرة للربيـع العـربي والثـورة السـورية، ومنهـا مقالتـك: «الثـورة والهويـة وميـلاد اللحظـة الفلسـفية العربيـة المعـاصرة»، مـاذا تقصـد بميـلاد هـذه اللحظـة؟**

> **الثَّورات نتاج تقاطُع السياق العالميّ ما بعد الحداثيّ والعربيّ السِّياسيّ الذي شكَّلته عقود من المُحدِّدات الاستبداديّة والاحتقانات**

إنَّ الفَجوة الوجوديّة التي فتحتْها ثورات الرَّبيع العربي بعد استعصاء سياسيّ واجتماعيّ دامَ عُقوداً، تبسطُ في طيّاتها الحركيّة الصَّيروراتيّة والاختلافيّة، وتداعياتِها المُختلفة، أسئلةً وجوديّة عربيّة وكونيّة، بمَعنى أنَّ حركيّة الثَّورات نفسَها هيَ حركيّة توليديّة فلسفيّة تنطوي نظَريّاً ووقائعيّاً على مَخاضات (فلسفيّة) تفكيكيّة وتأسيسيّة في الوقت نفسه، وهذِهِ الحركيّة لا تخلو من مكر التاريخ وإيلامِهِ الحادّ من ناحيةٍ أُولى، ومن تخليق طويل الأمَد للمُستقبَل العربيّ الحرّ الدّيمقراطيّ المأمول من ناحيةٍ ثانية، ولا سيما أنَّ التّاريخ يُعلِّمنا مدى ندرة تلكَ اللّحظات التي يتحقَّقُ فيها شبه تماهٍ، أو على الأقلّ تتحقَّقُ فيها أنواعٌ من التَّشابُكات الجدَليّة بينَ الأحداث الوقائعيّة والحركيّات الدّلاليّة للعلامات (الفلسفيّة) في الاتّجاهيْن بآنٍ معاً!!

وهو الأمر الذي يعني من جانب أوَّل أنَّ الضَّرورة تحكُم المُثقَّف العربيّ بمُواجهة الأسئلة الكيانيّة المَصيريّة ليسَ عربيّاً فحسب؛ بل عالَميّاً، وبوجهٍ خاصّ في ضوء البُعد (التَّحقيبيّ) العولميّ لهذِهِ الثورات، فضلاً عن أنَّ مثل هذِهِ المُواجَهة الفكريّة التي ينبغي أن يخوضها المُثقَّف العربيّ فلسفيّاً تُمثِّل في أحد أهمّ أبعادِها من جانبٍ ثانٍ عودةَ العرب إلى الفلسفة،

أو عـودةَ الفلسـفة إليهـم بوصفِهـا نـداءَ وجـودٍ وفعـلٍ وتغيـيرٍ، تُمثِّـل الاسـتجابة لـه ميـلاداً جديـداً للثَّقافـة العربيّـة، وهُوِيَّتَهـا الثَّقافيّـة الكونيّـة.

*** كتبـت مـراراً عـن قضيـتيْ؛ الطائفيـة والعلمانيـة، فمـا فحـوى هـذه الكتابـة؟**

أرى أنَّ هنـاك تحالُفـاً ضمنيـاً بـين مـا أصطلِـح عليه بـِ(الأكثليّـات) بوصفِهِ اصطلاحـاً يـدلُّ عـلى تحـوُّل الأكثريّـة والأقلِّيّـات الدينيّـة والطّائفيّـة والإثنيّـة إلى وَحـدة وظيفيّـة تحـت عبـاءة السُّـلطات السِّياسـيّة ورعايتِهـا، ذلـكَ أنَّ العـداء الزّائِـف بـينَ هـذِهِ المذاهِـب والاتّجاهـات يُؤسَّـسُ عـلى هَواجِـس ومَخـاوِف ودعايـات وإشـاعات مُوجَّهـة لتكتيـل المُستوى الجمعـيّ (القطيعـيّ) غرائِزيّـاً، في حـين تتحالَـفُ المركزيّـاتُ الفوقيّـة البطريركيّـة للأكثريّـة والأقلِّيّـات برعايـة المركزيّـة الفوقيّـة السِّياسـيّة الأعـلى في هـرم السُّـلطة حِفاظـاً عـلى مَصالِـح جميع هـذِهِ السُّـلطات مـن ناحيـة، وتأبيـداً للُعبـة التَّدجـين الشَّـعبيّة للجُمـوع الـتي يتـمُّ تحريكَهـا غرائِزيّـاً، حـتَّى لـو اسـتدعى الأمـر تكـرارَ تاريـخ النَّفـي والتَّكفـير والذّبـح والـصِّراع العِـدائيّ التَّحـتيّ أو الظّاهـريّ تقليديّـاً، وعـلى هـذا النَّحـو تتلاقى جميـع الأكثليّـات في وَحـدة البُعـد الجوهـرانيّ السُّـكونيّ النّـافي للآخَـر بنيويّـاً، الـذي يتمـدَّد عنـدَ الانقضـاض عـلى السُّـلطة عـلى حامِـل إيديولوجـيّ تكفـيريّ ثابـت ومُتشـابه مـن جانـبٍ أوَّل، ومُعـادٍ وظيفيّـاً مـن جانـبٍ ثـانٍ للبُعـد الزَّمـنيّ المُتحـرِّك والمُتحـوِّل للعلمانيّـة.

*** ألا تخشى من مسألة أسلمة الثورة السورية والربيع العربي؟**

مـن المُؤكَّـد أنَّ الاسـتبداد الديـنيّ هـو عامـل موضوعـيّ يتحالـف مـع الاسـتبداد السِّـياسيّ في وَحـدة التَّكفـير والإقصـاء والتَّطـرُّف والتَّعصُّـب، لكنَّـني عـبرَ تنظـيريّ لثـورات الرَّبيـع العـربيّ، وفي مُقدِّمتهـا الثَّـورة السّـوريّة، رأيْـتُ أنَّ هـذه الثَّـورات ناجمـة عـن تقاطُـع سـياقيْن لا فاصـل حديّـاً بينهُمـا، وهمـا: السِّـياق العـربيّ السِّـياسيّ الـذي شـكَّلته عـبرَ عقـود مجموعـة مـن المُحـدِّدات الاسـتبداديّة والاحتقانـات الاجتماعيّـة والاقتصاديّـة والدينيّـة والثقافيّـة، والسِّـياق العالمـيّ مـا بعـد الحـداثيّ بوصفِـهِ سـياقاً تأريخيّـاً (تحقيبيّـاً) لا أيديولوجيّـاً للحـدَث العـربيّ الثَّـوريّ، ولذلـكَ فقـد انفتَحَـتْ فَجـوة وجوديّـة (عربيّة/كونيّـة) جديـدة ومُغايِـرة بـكُلّ مُعطياتِهـا الإيجابيّـة والسَّـلبيّة، ومنهـا صعـود التَّسـييس الدّيـنيّ الـذي ينبغـي أن نقـرأه بوصفِـهِ حقبـة صيروراتيّـة مَرحليّـة غـير نهائيّـة أو مُغلَقـة، ولا سـيما إذا انتقلنـا في تحليـل الثَّـورات مـن المُسـتويات الجزئيّـة والزَّمنيّـة الخطّيّـة إلى المُسـتويات الكُلّيّـة في فَجـوة تكـرار الاختـلاف.

*** سؤالي الأخير: لماذا لم تغادر سورية؟**

كـرَّرتُ مـراراً وتكـراراً احترامـي وتفهُّمـي لخيـارات كُلّ إنسـان سـواء أبقِـيَ في الدّاخـل السّـوريّ أم خـرَجَ بفعـل ظُـروفٍ مُختلِفـة ومُعقَّـدة، ويُثـيرُ سُـخريتي إلى أبعـد الحُـدود ذلـكَ الحديـث المُتهافِـت عـن ثنائيّـة (الدّاخل/الخـارِج)، لكنَّـني مـن زاويـة الخيـار الـذّاتيّ لسـتُ ميّـالاً إلى فكـرة الخـلاص الفـرديّ، وأرى أنَّ

بقـائي في سـوريّة، ومـا ينطـوي عليـه ذلـكَ مـن تحدّيـاتٍ يوميّـة وكتابـاتٍ وإعـلانِ مَواقِـفَ مـن قلـب الحـدَث ومَخاطـرِهِ، هـو بالنّسـبة لي مَسـألة كينونـة وجوديّـة وثوريّـة، وواجبـاً ومَسـؤوليّة أخلاقيّـة وتاريخيّـة بمُشـارَكة شـعبي مصـيرَهُ، ولا سـيما أنَّـني أدَّعـي العمَـل في حُقـول الثَّقافـة والفكـر، وأرفـضُ أن تتناقـضَ مُمارسـاتي الشَّـخصيّة وأفعـالي الحيانيّـة ورُؤايَ الشِّـعريّة والفكريّـة مـع مَواقفـي الوطنيّـة والثَّوريّـة.

شاكر عبد الحميد:
التطرف مرض نفسي يستهدف الحياة والتنوع

حاوره: سامح فايز
صحفي مصري

في منتصف السبعينيات، وأوائل الثمانينيات، من القرن الماضي؛ حين بدأ الإرهاب يضربُ ثوابت الوطن، لم يكن بمثل تلك الشراسة التي عاد بها في السنوات الأخيرة، كان يقتصر على مجرد محاولات، من تجمّعات لا تملك القوة الكافية لمواجهة وطن بأكمله، لكنّ الوضع تغير الآن، بسبب دعم منظمات دولية، وحكوماتٍ أجنبية، للتطرّف والإرهاب، لخلخلة السِّلم العام، سعياً إلى تحقيق مصالح اقتصادية وسياسية خاصة، تميزهم عن الجميع، فلم تعد مصرُ تحارب جماعات دينية متفرقة، لكنّها تحارب دولاً مختلفة، تتخفى وراء هذه الجماعات، المسألة التي تدفع بقوة نحو إعادة النظر في التطرف والإرهاب من كلّ الجوانب، سياسياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً ونفسياً، وفي هذا السياق؛ صدرتْ عن مكتبة الإسكندرية مؤخراً، دراسةٌ بعنوان «التفسير النفسي للتطرف والإرهاب»، للدكتور شاكر عبد الحميد، أستاذ علم نفس الإبداع، ووزير الثقافة السابق.

ولاستكشـاف البُعـد النفـسي، ودوافـع المتطـرّف وخصائصـه، أجـرتْ «حفريـات» معـه الحـوار التـالي:

> **علم النّفس أحد حقول المعرفة المهتمة بدراسة التطرف والإرهاب والصور النمطية الجامدة والمصنفة للعالم إلى قسمين متحاربين**

*** علمُ النّفس هو أحد حقول المعرفة المهتمّة بدراسة التطرّف والإرهاب، فما هو تعريف علم النّفس لذلك المصطلح؟**

علم النّفس هو العلم الذي يدرس السلوكَ الإنساني، والسلوكُ الإنساني ظاهرة مركبة ومتنوعة، تشتمل اللغة والتفكير والإبداع والصحة النّفسية والمرضيّة وحالات السوء والاضطرابات النّفسية والسّلوكية والتفاعل الاجتماعي والقيم والعادات والمعتقدات والدين والتربية وغيرها. طبعاً، هناك موضوعات اهتمّ بها علم النّفس الاجتماعي، مثل: التعصب والكراهية، وتصنيف الآخرين، وكذلك التطرف والإرهاب. علم النّفس هو أحد حقول المعرفة المهتمة بدراسة التطرف والإرهاب، والصور النمطية، الجامدة، والمصنفة للعالم إلى قسمين متعارضين متحاربين. وعندما يُطلب منّا، الآن، تعريف أي جانب من جوانب السلوك، نقول لمحدِّثنا: هل تريد تعريفاً مختصراً، أم تعريفاً قاموسياً، أم تريد تعريفاً أكثر دقةً، أطلق عليه الفيلسوف الألماني، لودفيج فيتجنشتين: «التعريف بصورة العائلة». مثلاً: هل يمكنك تعريف الفنّ، أو الجمال، أو الحرية، أو الإبداع، تعريفاً قاموسياً واحداً محدداً؟ الإجابة: إنّ ذلك

غير ممكن، ومن ثم ينبغي وضع كلّ مفهومٍ في إطار عائلته من المفاهيم والظواهر، كي نعرفه جيداً. وهكذا يكون الإرهاب والتطرف من المفاهيم البينية التي تتشارك في دراستها فروع معرفية عديدة، منها: علم النّفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، والسياسة، والدين، والتاريخ، ويظلّ كلّ حقلٍ معرفيٍّ يعرّف الإرهاب والتطرف من وجهة نظره، رغم وجود جوانب كثيرة مشتركة بين معظم هذه الحقول.

باختصار: يُعرِّف علمُ النّفس التطرف؛ بأنّه مجموعة من المعتقدات، والاتجاهات، والمشاعر، والإستراتيجيات، والسلوكيات الفردية والجماعية، البعيدة عن الحدّ العادي، أو المعتدل، أو المتوسط، من السلوك.

والتطرفُ قد يظهر في القول، أو الفعل، أو الكتابة، أو النقاش مع الآخر، وهو الأساس الذي يتشكّل الإرهاب ويظهر في غضونه، فمن النادر أنْ يظهر إرهابٌ دون تطرف؛ أي دون استعدادٍ للإرهاب، والإرهاب هو استخدام العنف لترويع الآخرين لأهدافٍ سياسيةٍ.

والتطرف؛ حالة من الشعور بالتفوق، أو الاضطهاد، وهو، في جوهره: مزيجٌ من الشعور بالاضطهاد والتفوق، والشعور بالظلم، والإقصاء، والإبعاد عن مراكز السُّلطة والثروة ومصادرها، والشعور بالأفضلية، والامتياز، والجدارة، لأسباب أخلاقية ودينية وتاريخية، هكذا

يشعر المتطرفون بأنّهم أصحاب رسالةٍ، ورؤيةٍ، وتفوّقٍ، وتاريخٍ كان أشبه، كما يظنون، بالجنة الموعودة. لكنّ السُّلطة القائمة، وأعوانَها، وأصدقاءَها، في الداخل والخارج، يمنعونهم من الوصول إلى موضع يشبه الموضع السابق، ويماثل تلك الجنة الموعودة، التي كانت، أو يمكن أنْ تكون. هكذا ينبغي عليهم أنْ يملؤوا الأرض عدلاً وخيراً، بعد أن امتلأت ظلماً وشراً وعدواناً، هكذا ينبغي أنْ يقوموا بإقصاء ذلك الآخر وإبعاده، لا بدّ من شيطنته أولاً، لا بدّ من نزع الإنسانية عنه، وتحويلِه إلى شيءٍ فاقدٍ للإنسانية والجدارة، حتى تسهُلَ إبادُته، والتخلص منه، هكذا يكون المتطرفون؛ في حالةٍ غريبةٍ من الشعور بالخيرية والملائكية، بينما يقومون بأفعالٍ تنطوي على شرورٍ، وبأعمالٍ من أعمال الشياطين، وكلّ ممثلي مملكة الموت والظلام.

التّحليل النّفسي للتطرف

*** إدراك الجانب المعتم في نفسية المتطرف، يبدأ بتحليل الاعتقاد الذي بنى عليه رؤيته، فهل المعتقد الديني هو السبب الرئيس للإرهاب فقط؟**

ينبغي أنْ نضع في اعتبارنا، ونحن نُعرِّف التطرف والإرهاب، كلّ تلك الجوانب الخاصة بالمعتقدات، والخاصّة بالمتطرفين والإرهابيين، وهذه المعتقدات ليست معتقداتٍ دينيةٍ فقط، صحيحٌ أنّ الدين هو الأساس هنا، لكنّ هذا الأساس الديني يتم تحويره وتحريفه، بما يناسب

هناك باحثون يربطون بين التطرّف والإرهاب والمرض النّفسي ويقولون إنّ الظاهرة اجتماعية سياسيةٌ دينيةٌ ثقافيةٌ

المعتقـدات المتطرفـة الـتي تـم تشـكيلها داخـل عقولهـم، أثنـاء عمليـات التربيـة، أو تكويـن البنـاء النّفـسي الخـاص بهـؤلاء النـاس.

*** توجـد علاقـةٌ وثيقـةٌ بـين التطـرف والعنـف، فعالَـم المتطـرف يقـوم عـلى أسـاس تلـك القسـمة العقديـة الثنائية الخاصـة بالخـير والشر، كيـف تـم التنظـير لذلـك الجانـب في حقـل علـم النّفـس؟**

هنـاك علاقـةٌ وثيقـةٌ بـين التطـرف والعنـف؛ فالمتطـرف عنيـفٌ في قبوله، وعنيـفٌ في رفضـه، فهـو عنيـفٌ في قبولـه الأفـكار الـتي يؤمـن بهـا، وعنيـفٌ في رفضـه كلَّ مـا يختلـف مـع هـذه الأفـكار، وقـد يتـمّ تعميـم هـذا الاختـلاف، أيضـاً، عـلى كلِّ مـا هـو مختلـف معـه في الديـن، أو النّـوع (ذكـر/ أنـثى)، أو السّـلالة، أو الجنسـيّة، أو المذهبيـة (شـيعي/ سـنّي)، ...إلـخ.

هكـذا يتحـوّل العالـم لـدى المتطـرف إلى عالـم ثنـائيّ، أو عالـم يقـوم عـلى أسـاس تلـك القسـمة العقديـة الثنائيـة، الخاصّـة بالخـير والـشر، والرذيلة والفضيلـة، ومـن هـو معـي، ومـن هـو ضـدّي، ...إلـخ.

وقـد ربـط الدكتـور مصطفـى سـويف، في كتاباتـه المبكّـرة، منـذ خمسـينيات القـرن المـاضي، بـين التطـرف والتصلّـب، وعـدّ التصلـبَ أسـاسَ الجمـود والتوتـر والعنـف، أمـا عكـس التصلّـب؛ فهـو المرونـة الـتي هـي؛ الأسـاس الـذي يقـوم عليـه التكامـل الاجتماعـي والإبـداع.

ويرتبـط التطـرف والإرهـاب بالتعصـب، الـذي يُعرّفـه علـم النّفـس عـلى أنّـه: «شـعورٌ ينطـوي عـلى التفضيـل لشـخصٍ، أو جماعـةٍ، أو شيءٍ، وهـو في جوهـره، لا يقـوم عـلى أسـاس الخـبرة الفعليـة؛ بـل عـلى أسـاس الإدراك المسـبق المتحـيّز، المفعـم بالكراهيـة تجـاه الآخـر، (فـردٍ – جماعـةٍ – مؤسسـةٍ)، تختلـق التفضيـل للجماعـة الداخليـة، وعـدم التفضيـل والكراهيـة للجماعـات والمؤسسـات الخارجيـة، أي الـتي تقـع خـارج إطـار فهـم الجماعات الداخليـة ومعتقداتهـا وقيمهـا.

والكراهيـة كذلـك، هـي شـعور قـوي بعـدم التفضيـل، أو التفـوق، وإضمـار العـدوان تجـاه شـخصٍ، أو جماعـةٍ، أو آخـر، فيوصـف بأنّـه بغيـضٌ، أو كريـهٌ، أو منفّـرٌ، أو مقيـتٌ، أو ينبغـي التخلّـص منـه.

خصائص الإرهابيين

*** هنـاك خصائـص تُمـيز كلّ جماعـةٍ إنسـانيةٍ نسـتطيع مـن خـلال تناولهـا إدراك تلـك الحالـة الجمعيـة، الـتي يـدور في فلكهـا أتبـاع أيـة جماعـة، بالتـالي، مـن المؤكَّـد أنّ هنـاك خصائـص تميز المتطرفـين، سـواء اقتصاديـة أو دينيـة، أو خصائـص مرتبطـة بالنـوع أيضـاً؟**

طبعـاً، هنـاك خصائـص اقتصاديـة ودينيـة وتعليميـة، وهنـاك خصائص مرتبطـة بالنـوع، مثـلاً: الذكـور أكـثر تطرفـاً وعنفـاً مـن الإنـاث، ومـن حيـث السـنّ؛ الشـباب أكـثر تطرفـاً وعنفـاً مـن الأطفـال ومـن كبـار السـن، ومـع ذلك؛ فهنـاك صعوبـة كبـيرة في التعميـم هنـا، فهـم يأتـون مـن طبقـات اجتماعيـة مختلفـة، ومـن جماعـات عمريـة ومهنيـة وتعليميـة مختلفـة، ومـن أمـم مختلفـة، وتخصصـات تعليميـة مختلفـة (الطـب، والهندسـة، ودار العلـوم، ..إلـخ)، لكـنّ مـا يجمعهـم؛ القيـم المتطرفـة، والمعتقـدات المتطرفـة، والاتجاهـات المتطرفـة، والسـلوكيات المتطرفـة، الـتي يترتـب عليهـا العنـف بأشـكاله المختلفـة.

وهنـاك خصائـص عديـدة أخـرى، تتعلّـق بالمتطرفـين والإرهابيـين،

> **التعليم الجامد المحافظ الذي لا يُشجّع على الخيال والإبداع والتفكير النقدي يشجّع على التطرف والإرهاب**

خاصّة بعد ذلك التطور التكنولوجي في مجال الميديا، والاتصالات، ووسائل التواصل الاجتماعي، لعلّ أهمها:

١-الاغتيال المادي والمعنوي للمختلفين معهم (انظر ما تفعله القنوات المختلفة مع الدولة الآن، التي يموّلها الإخوان، وتدعمها دولٌ معروفةٌ، وتبثّ من تركيا مثلاً)، وانظر إلى مستويات البذاءة والانحطاط، التي يتحدَّث بها بعضهم.

٢-التبنّي للمعايير المزدوجة: فالعالم ينقسم إلى خير وشرّ، إلى ملائكة وشياطين، لكن من الجيد أيضاً، من وجهة نظرهم، القيام بأشياء سيئة من أجل قضية عادلة، فالغاية تبرّر الوسيلة، وهناك آلية اسمها «التبرير»، يستخدمها هؤلاء الأفراد والجماعات، لتبرير كلّ ما يقومون به من أفعال شريرة؛ حيث يضعونها في إطارٍ، هو من وجهة نظرهم، خيراً ومطلوباً ومباركاً، كيف تقتل النّاس، وتدمّر حياتهم وممتلكاتهم، وأماكن عبادتهم، وتدّعي أنّ هذا خير، وهذه بركة، وهذه رسالةٌ ساميةٌ؟!

إنّ ذلك يتمّ من خلال آليات التبرير، التي ينظرون من خلالها إلى خصومهم، على أنّهم مجموعة من الأشخاص السّيئين، اللاأخلاقيّين، المفتقدين للصدق والأمانة، الذين يكيدون لهم، والذين يبتعدون عن طريق الصواب والتقوى، ومن ثمّ ينبغي التخلّص منهم وإبادتهم.

٣- الحشد المتواصل: فهم يميلون إلى حشد أتباعهم، انفعالياً ومعرفياً، نحو خصومهم، ومن ثمّ يعملون على تراكم الكراهية ضدّهم. والكراهية، كما عرَّفناها؛ انفعالٌ مفعمٌ بالبغض، والمقت للآخر، مع ما يحمل صاحبها من مشاعر العداوة والعدوان.

٤- الاعتماد على التخويف والترهيب والتهديد، ويتم هذا من خلال أساليب معروفة، مثل: الصراخ والصياح واستدرار العواطف، وربّما البكاء أثناء إلقاء مواعظهم، التي تقوم في جوهرها على أساس، ما يسمى البلاغة الخشنة، أو العنيفة، التي تقوم على أساس التحقير، والازدراء، والسبّ لمن يعدّونه عدوّهم، مع إلصاق كلّ الخطايا والشرور، ومنع أيّة فرصة للتسامح، أو التهاون، أو الحوار معه، ... إلخ.

٥- استخدام الشّعارات، والرّموز، والكلمات، والعبارات الطّنانة، والكليشيهات التي توقف التفكير المنطقي، وذلك من أجل خلق الإحساس بوجود هوية متميزة، أو كيان متمايز للجماعات المتطرفة، ومن الشعور

بالتفـوّق الأخـلاقي والإنسـاني، مقارنـة بغيرهـم مـن الفاسـدين، والمارقـين، الذيـن ضلّـوا طريقهـم بعيـداً عـن الفضيلـة.

٦- الاسـتخدام لمنطـقٍ مـا ورائي، أو ميتافيزيقـي، مـن أجـل تبريـر إنكارهـم، ومعتقداتهـم، وسـلوكياتهم؛ حيـث يزعـم المتطرفـون وجـود منطـق مـا ورائي، أو رسـالة ميتافيزيقيـة، غالبـاً مـا تأخـذ شـكلاً دينياً، يحكـم معتقداتهم وأفعالهـم، وأنّ أفعالهـم تُجسّـد أوامـر الله، هكـذا يكتـسي السـلوك المتطـرف، العنيـف والإرهـابي، طابعـاً شرعيـاً مشروعـاً، يتحـوّل إلى رسـالةٍ، تكـون لـه مكانـة البقـرة المقدسـة في الديانـات الأخـرى، ويصبـح ذا مكانـةٍ عاليـةٍ، رغـم أنّـه يُهلِك الـزّرع والـضّرع، ويحـرق الأخـضر واليابـس، وأمـام المعتقـدات، لا عقـلٌ، ولا منطـقٌ، ولا تفكـيرٌ، أمـام المعتقـدات الراسـخة المتصلبـة الجامـدة، طاعـةٌ، وإذعـانٌ، ومسـايرةٌ، وتسـليمٌ، والراكـب مـع القطيـع يربـح.

أهم دوافع التطرف

*** الـرؤى المختلفـة الـتي تناولـت أنصـار الجماعـات المتطرفـة، تباينـت توجهاتهـا في تحديـد دوافـع الالتحـاق بتلـك الجماعـات، مـن وجهـة نظـر علـم النّفـس؛ مـا هـي الدوافـع خلـف الانخـراط في تنظيـم متطـرف؟**

البنيـة الاجتماعيـة الرأسـمالية، كمـا أشـار وليـم رايـخ، المحلـل النّفـسي المعـروف، ينتـج عنهـا أسرٌ متسـلطةٌ، والأسرُ المتسـلطة، أو الفوضويـة، ينتـج

> **ينبغي أنْ ينعزل فهمُنا للشخصيات التّسلطية عن فهمِنا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ التي تكوّن بيئةً حاضنةً للتطرّف والإرهاب**

عنها شخصياتٌ تسلطيةٌ، وصفها رايخ بأنّها «تُكوّن شخصياتٍ محافظةٍ، تخاف من الحرية، وتخضع للسُّلطة، ولديها نوازع عدوانيةٌ، تميل نحو السّادية، والاستمتاع بتعذيب الآخرين، وقتلهم».

لكنْ، لا ينبغي أنْ ينعزل فهمُنا للشخصيات التّسلطية عن فهمِنا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ التي تكوّن بيئةً حاضنةً للتطرّف والإرهاب، وكذلك بين دوافع الأفراد للالتحاق بهذه الجماعات المتطرفة، وأهمّ هذه الدّوافع والظروف:

١- انخفاضُ مستوى التعليم، وكذلك نوع التعليم، أي أنّه حتى عندما يرتفع مستوى التعليم (طب، هندسة، دراسات دينية، ...إلخ)، فهناك حالات كثيرة، مثل: الظواهري، وابن لادن، فالمحتوى التعليمي الجامد المحافظ الذي لا يُشجّع على الخيال، والإبداع، والتفكير النقدي، يشجّع على التطرف والإرهاب.

٢- القدوة المبكّرة والقدوة المتأخرة: أي المثُل والنماذج التي يتم الاقتداء بها، مثل: الآباء، الأقارب، المعلمين، الزملاء، الدعاة الدينيين، الوعّاظ، الشخصيات التاريخية، ...إلخ، حيث يميل المتطرّف إلى الإحاطة بهؤلاء، في سلوكياتهم وأفكارهم.

٣- طبعاً، الفقر والجهل قد يرتبطان بالشعور بالهامشية والإقصاء، وهي مشاعر تعمل على زيادة الميل إلى العنف والتطرف والإرهاب.

٤- هيمنة الخطاب الديني في: التعليم، والإعلام، والمؤسسات الدينية، ووسائل المواصلات، ...إلخ، في ظل غياب المشروع الخاص بالتنمية الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، والقومية، ...إلخ.

٥- غياب خطاب التسامح والمودة والرحمة والتكامل، وما شابه ذلك في المجتمع.

٦- الحاجات الأساسية للانتماء، الحاجة إلى الانتماء الحميم، والحاجة إلى القوة.

٧- السعي والبحث عن معنى لا يجدونه في حياتهم.

٨- الرغبة في الالتحاق بتنظيم يشبه عصابات المافيا، لما يقدّمه لهم من؛ حمايةٍ، ورعايةٍ، وقوةٍ، ومالٍ، ...إلخ، لكنّ الأسباب في هذا الدافع تكون سياسية ودينية.

٩- تأثير الأصدقاء والعائلة.

*** هل يمكننا هنا الحديث عن مرضٍ نفسي، أو خللٍ عقلي، يكون سبباً رئيساً للتطرف؟**

التطرّف نفسه؛ هو نوعٌ من المرض النّفسي الاجتماعي، لأنّه ضدّ الحياة، والإبداع، والتنوّع، والتكامل الاجتماعي. كذلك، يرى بعض الباحثين أنّ الإرهابيّين يعانون مشكلاتٍ نفسيةٍ اجتماعية عميقةٍ؛ فهم: عدوانيّون، وجامحون، ومختلّون، وسيكوباتيّون (أي متبلّدو المشاعر، ومعادون للمجتمع، ومنغلقو التفكير).

البعض الآخر، يرى أنّهم مزيجٌ من السيكوباتية والسوسيوباتية،

أي مزيجٌ من الأمراض النّفسية والاجتماعية. وقال البعض، كذلك، إنّهم نرجسيون، أو أشباه فصاميين (لديهم إحساس بالقدرة العقلية، والانفصال عن العالم، لكنّهم ليسوا من المرضى الفصاميين، بالمعنى الطبي المعروف).

أمّا فريق آخر من الباحثين؛ فيربط هذا الربط بين التطرّف، والإرهاب، والمرض النّفسي، ويقول إنّ الظاهرة اجتماعية، سياسيةٌ، دينيةٌ، ثقافيةٌ، ...إلخ.

إميل أمين:
أمريكا لن تتوقف عن اللعب بورقة التطرف

حاوره: ماهر فرغلي
كاتب مصري

قال الباحث في شؤون الأصوليات الغربية اليمينية إميل أمين إنّ أمريكا رغم رهاناتها الخاسرة طالما تلاعبت بورقة الأصوليات، واستخدام التطرف الإسلاموي في أهدافها الإستراتيجية، مؤكداً أنّ الجماعات الإسلاموية ساهمت بشكل كبير في إحياء الأصولية الغربية والأمريكية، وأنّ دور أتباع هذا التيار سيتعاظم بشكل أكبر، خاصة إذا فاز ترامب بفترة رئاسية أخرى.

ورأى مؤلف كتاب «ذئاب في ثياب حملان..مختصر قصة الأصولية الأمريكية»، في حوار مع «حفريات» أنّ واشنطن قادرة على التصدي لطهران وإرجاعها قروناً إلى الوراء، لكنّها تستخدمها لتفتيت المنطقة، مشدداً على أنّ تعاطي إيران مع أجيالها الصاعدة بالعقلية المحافظة والمتشددة نفسها التي مارسها الملالي قبل ٤٠ عاماً، أمر تتجاوزه طبائع الواقع.

وهنا نص الحوار:

*** كيف ترى خريطة الأصوليات في العالم، وهل نشهد تعاظماً لها في العالم؟**

التيار الأصولي الأمريكي في طور الصعود، وحاضر بقوة الآن ربما أكثر من أي فترة سابقة، وحين تتلاشى أزمة روسيا ترامب تماماً، سيتعاظم دور

> **التيار الأصولي الأمريكي في طور الصعود وحاضر بقوة الآن ربما أكثر من أي فترة سابقة**

أتباع هذا التيار بشكل أكبر، خاصة إذا فاز ترامب بفترة رئاسية أخرى، وسيحدث ما لا يحمد عقباه للمسلمين والمسيحيين في المنطقة على السواء؛ فهو الرئيس «غير المتوقع»، ورأينا كيف كان قراره عن القدس ونقل السفارة الأمريكية إليها، فهي مسألة تدخل في سبيل تقاطعات وتشريعات هذا التيار، ورغم ذلك فـ «روسيا جيت» أو التدخل الروسي في الانتخابات الأمريكية مسألة لا تشغل بالهم كثيراً، والدليل أنّهم دعموا بوش الابن، واكتشف الأمريكيون أنّهم أمام خديعة كبيرة، واكتشفنا نحن بدورنا أننا أمام تيار فاعل، تيار يدعم إسرائيل في كلّ شيء.

نحن إذن أمام مشهد مقلق بكلّ تأكيد، لقد وصلنا إلى سقف كبير من التطرف، منذ ٣ أعوام كانت هناك موجة من الانحسار لهذا التيار، لكن تغير كل شيء مع ظهور ترامب بشخصيته المتناقضة وتراجعه المستمر عن كلامه، ما يكشف أنّه ليس إلا دمية يتم التلاعب بها من فاعلين آخرين في المشهد الأمريكي، ويمكننا بهذا الصدد الرجوع إلى كتاب «الضباب الأحمر» الذي يتطرق إلى الحكام الحقيقيين للبيت الأبيض.

الجماعات الإسلاموية ساهمت بشكل كبير في إحياء الأصولية الغربية والأمريكية

*** مـا حجـم دور اليهـود الأمريكيـين في دعـم الأصوليـات داخـل الولايـات المتحـدة؟**

هـذه جزئيـة مهمـة في حركـة الأصوليـات الأمريكيـة؛ فاليهـود يدركـون أنّ هـذا التيـار يشـكل خطـراً عليهـم، وأنّـه لا يدعمهـم حبّـاً فيهـم؛ بـل مـن أجـل تهيئـة الأرض للسـيد المسـيح في آخـر الزمـان، رغـم أنّ ذلـك يخالـف قواعـد الكنيسـة الأرثوذوكسـية والكاثوليكيـة، لكنّـه تيـار تاريخـي، بـدأ مـع مارتـن لوثـر، الـذي انشـقّ، وحـاول كسـب ود اليهـود، فألّـف كتابـه «المسـيح كان يهوديـاً»، وبعـد عقديـن، اكتشـف أنّهـم تلاعبـوا بـه، فألّـف كتـاب «اليهـود وأسـاليبهم»، علمـاً أنّـه كان أوّل مـن طالـب بوطـن لليهـود، وبعـده نابليـون، وبلفـور.

حركة «إسرائيل لهفاه» هي «داعش إسرائيل» وهي تنادي بحكم التوراة، ونهاية الدولة الإسرائيلية

*** ألا تـرى أنّ الجماعـات الإسـلامية المتطرفـة أسـهمت في صعـود الأصوليـة الغربيـة؟**

نعـم، هـذه الجماعـات سـاهمت بشـكل كبـير في إحيـاء الأصوليـة الغربيـة والأمريكيـة، فقـد نتـج عـن أفعالهـا عـدم الاسـتقرار السـياسي، واتخـاذ الأحـزاب اليمينيـة للتطـرف الإسـلاموي ذريعـة لكسـب التأييـد لصالحهـا، وهـو مـا أدّى إلى أن يقـع العالـم رهينـة أصوليـات ثـلاث، في اليهوديـة والمسـيحية والإسـلام، وحركـة «إسرائيـل لهفـاه» دليـل عـلى ذلـك، فهـي «داعـش إسرائيـل»، وهـي تنـادي بحكـم التـوراة، ونهايـة الدولـة الإسرائيليـة، وهـو مـا سـيولد المشـهد الضبـابي بالمنطقـة فيمـا بعـد.

بلور المحافظون الجدد وثيقتهم الأخطر (PNCA) العام ١٩٩٧ بهدف وقف نمو الصين وعدم السماح لروسيا بالنهوض

*** ولكن المشكلة كامنة بشكل أكبر في استغلال الأصولية الإسلامية؟**

بكل تأكيد، فهم استخدموها لمصلحتهم، في البداية استغلوا الأصولية الإسلامية في مواجهة السوفييت بعد غزوهم لأفغانستان، وتمّ دعم انتشار الإخوان بأوروبا، وأمريكا لعبت اللعبة نفسها وفق ما يؤكد جون فوستر دالاس في كتابه «لعبة الشيطان»، وفي هذا السياق دعا مهندس الحرب الباردة وصاحب «مبدأ الاحتواء»، جورج كينان، إلى احتضان الإخوان، وجاء بريجنسكي مستشار الأمن القومي للرئيس جيمي كارتر بين عامي ١٩٧٧ و١٩٨١، ورسم ملامح التلاعب بالإخوان، ثم نشأت العلاقة مع بن لادن، ومن ثم ظهرت «داعش» فيما بعد، وأمريكا ستظلّ تلعب بالأصوليات، واستخدام التطرف الإسلامي في أهدافها الإستراتيجية، إلا أنّها دائماً ما تدخل بذلك في رهانات خاسرة.

*** يذهب كثير من المحللين أنّ وسط آسيا سيكون المستهدف القادم للأصولية الإسلامية، هل تتفق مع ذلك؟**

أؤيد هذا الرأي، فلا تزال قارة آسيا، وستظل طويلاً هي الهدف الأكبر للقوى الغربية والإمبريالية العالمية، التي لا تريد لقلب العالم أن

ينتقل من بين أيديها إلى الشرق؛ حيث آسيا الصاعدة وبقوة، بقيادة الصين، لتغيير المشهد العالمي، الذي حافظت فيه أوروبا والولايات المتحدة على صدارة العالم، بفعل خمسمئة عام من السيطرة على ثروات الأرض، بالاحتلال والاستغلال، وكثيراً بالاحتيال والسطوة، وما يزال نموذج القرصان المفوض «مورجان» الذي كان يستغل القراصنة الصغار هو المثال الأكبر للإمبراطورية الأمريكية، وحين بلور المحافظون الجدد وثيقتهم الأخطر (PNCA) العام ١٩٩٧، كان الهدف وقف نمو الصين، وعدم السماح لروسيا بأن تستيقظ من السبات العميق.

تبلرت الوثيقة العام ٢٠١٠، في القراءة الإستراتيجية الشهيرة، المعروفة باسم «إستراتيجية الاستدارة نحو آسيا»، وللهدف ذاته، ولتحقيقها كان لا بدّ من استخدام الأصوليات الإسلاموية مرة جديدة، لتفخيخ روسيا والصين من الداخل، وقد بدأ هذا السيناريو عبر «الربيع العربي» المكذوب في الشرق الأوسط، وكان الأمل تصعيده إلى شمال وشرق آسيا، غير أنّ الأمريكيين فاتهم أنّ التاريخ لا يكرر ذاته، وإن تشابهت أحداثه، ومع ذلك لم ييأسوا، وها هم يعاودون الكرّة من خلال تصعيد الدواعش إلى أفغانستان وباكستان من جديد.

قطر لا تمثل دولة حقيقية لأنها تفتقد تاريخاً تتكئ عليه وشراكات حضارية حقيقية

*** وكيف ترى المشروع القطري الإخواني، على اعتبار أنّه دافع للأصولية؟**

هناك توافق تامّ الآن بين المشروع القطري والإخواني، رغم أنّ قطر لا تمثل دولة حقيقية؛ فالدولة بمعناها الكلاسيكي لا تطلق على هذه المساحة، فأنت حينما تتحدث عن المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومصر، فكلّها دول تمتلك تاريخاً تتكئ عليه، وشراكات حضارية، وهذا ما تفتقده قطر، والآن يتم التلاعب بها، كما إيران، فأمريكا قادرة على التصدي لطهران، وهي تستطيع إرجاعها قروناً إلى الوراء، لكنّها تستخدمها لتفتيت المنطقة، والكاتب والمؤلف الأمريكي، تريت بارزي، وهو متخصص في الشأن الإيراني، قال إنّه حلف المصالح المشتركة الذي يمضي من تل أبيب إلى طهران.

*** ما الذي يجعل قطر إذن تصر على الاستمرار في هذا النهج؟**

ما تزال قطر تعيش مرحلة الأوهام، وتذكّرنا على الدوام بقصة مشهورة في الأدب الفرنسي، عن الضفدعة التي أرادت أن تكون كبيرة بحجم الثور، وقد قصّها علينا لافونتين في كتابه عن الخرافات في القرن السابع

إيران ماضية قدماً في طريق الانفجار، لا تلوي عنه شيئاً، لا سيما في ظل مؤشراتها الداخلية غير المستقرة

عـشر، وقـد اسـتبدّ بهـا الحسـد مـن الثـور، وهيّـأ لهـا الغـرور أنّهـا يمكـن إذا انتفخـت أن تتجـاوزه حجمـاً ورسـماً، وهـي سـادرة في غيّهـا انفجـرت ولـم يبـقَ لهـا ذكـر!

ثمـة تسريبـات عـدة في الصحافـة العالميـة تواتـرت الأسـابيع الماضيـة، تؤكـد أنّ الدوحـة لـم ترتـدع رغـم أشـهر المقاطعـة، وأنّهـا تحـاول مـن جديـد الهـرب إلى الأمـام مـن خـلال محاولـة تحسـين صورتهـا، ولا سـيما في الداخـل الأمريـكي، قناعـة منهـا بـأنّ واشـنطن مـا تـزال «مالئـة الدنيـا وشـاغلة النـاس»، وآخـر قصـص قطـر لجوؤهـا إلى مستشـار يهـودي أمريـكي متديـن، مـن جماعـة «الحريديـم»، كي يمكّنهـا مـن اخـتراق الطبقـات السياسـية والإعلاميـة الأميركيـة العليـا، يدعـى نـك مـوزن، ومعـروف أنّ لـه اتصـالات عميقـة ومكثفـة، ولا سـيما مـع شـخصيات أميركيـة يهوديـة نافـذة، مثـل الحقـوقي آلـن دورشـويتس،

"الانتفاضة الإيرانية الأخيرة أيديولوجية أكثر من كونها ثورة على واقع اقتصادي مرير"

المعـروف بدفاعـه عـن إسرائيـل في أمـيركا.

*** أين يمكن أن تصل الحرب «الكلامية» الأمريكية ضد إيران؟**

الهجـوم الأمريـكي ضـد إيـران ازدادت وتيرتـه منـذ دخـول روسـيا في المنطقـة، والاتفـاق النـووي أعطـى طهـران مسـاحة زمنيـة، وفوائـض ماديـة، والأوروبيـون يهمهـم المصالـح الاقتصاديـة مـع الإيرانيـين، لكـنّ وزيـر الخارجيـة الفرنـسي جـان إيـف لودريـان أخفـق مؤخـراً، وهـو مـا سـيؤدي للضغـط عـلى إيـران وحصارهـا، فحـتى روسـيا ليـس مـن مصلحتهـا أن تصبـح إيـران دولـة نوويـة، وهـي تتلاعـب بطهـران، ضمـن لعبـة الشـطرنج، والثـأر القديـم بـين موسـكو وواشـنطن، وهـو مـا دفـع أيضـاً أمريـكا لبلـورة الاسـتدارة نحـو آسـيا، وقطـع الطريـق عـلى روسـيا والصـين عـبر أصوليـات، ومحاولـة نقـل «داعـش» إلى هـذه المنطقـة كمـا ذكـرت.

*** مستقبلياً كيف ترى إيران داخلياً وخارجياً؟**

إيـران ماضيـة قدمـاً في طريـق الانفجـار، لا تلـوي عنـه شـيئاً، لا سـيما في

ظل مؤشراتها الداخلية غير المستقرة، بدءاً من الأوضاع الاقتصادية، ومروراً بأحوال «الجندر» الإيراني، إن جاز التعبير، وصولاً إلى التغير المجتمعي في ظلّ أطر كونية، لا تتسق في الشكل أو المضمون مع زمن ثورة الخميني، والشاهد أنّ الذين ولدوا غداة الثورة الإيرانية يبلغون اليوم من العمر العقد الرابع، هذا الجيل الذي عاصر الانفجار المعلوماتي والإعلامي ضمن سياقات السماوات المفتوحة.

وعليه، فإنّ التعاطي معه بالعقلية المحافظة والمتشددة نفسها التي مارسها الملالي قبل أربعين عاماً، أمر تتجاوزه طبائع الواقع أو فرضيات المستقبل، والأمر الآخر الذي يؤكد «قابلية الانفجار الإيراني»، يتصل بالمرأة الإيرانية، التي عانت، وما تزال، من الوجه القمعي للملالي حتى الساعة، وهذه بدورها قد تغيرت أوضاعها وتبدلت طباعها، خاصة أنّ ٦٠٪ من خريجي الجامعات في إيران من الفتيات، اللواتي رآهنّ العالم عبر الشاشات في انتفاضة كانون الأول (ديسمبر) الماضي، التي هي أيديولوجية أكثر من كونها ثورة على واقع اقتصادي إيراني داخلي مرير.

ختاماً، ما الذي نملكه في مواجهة الأصولية؟

يعيننا التسامح الخلاّق في القفز على حواجز «الأصوليات القاتلة»، لا سيما حين ينسى، أو يتناسى، بعضنا أنّنا جميعاً ركاب سفينة واحدة، إما أن تصل بنا معاً إلى برّ الأمان، أو أن نصيبها بعطب معاً يدفعنا إلى الغرق

في بحـر الأصوليـات المهلكـة، وعصرنـا الحديـث يمكـن أن يكـون أرضيـة صالحـة لمبـدأ الحـوار والتسـامح، بعـد انهيـار الأيديولوجيـات الكـبرى، وانتشـار مبـدأ النسـبية، عطفـاً عـلى وبـاء الإرهـاب، وقديمـاً قـال حكيـم صيـني: «إذا أردت أن تنفـع النـاس لسـنة، فابـذر لهـم حبّـة، وإن شـئت أن تنفعهـم لعـشر سـنوات، فـازرع لهـم شـجرة، أمـا إن رغبـت في أن تنفعهـم لمائـة سـنة، فأعطهـم تعليمـاً مفيـداً».

أبو الفضل الإسناوي:
استدعاء الصوفية لمواجهة التطرف محاولة تجاوزها الزمن

حاوره: صلاح الدين حسن
كاتب مصري

قال أبو الفضل الإسناوي إنّ كل التنظيمات العنيفة من «القاعدة» إلى «داعش» استهدفت الصوفية، استناداً إلى عداء قديم من السلفية، مؤكداً أنّ الخطاب السلفي رسّخ لدى أنصاره، وللعديد من التنظيمات المتطرفة والعنيفة التشكيك في التزام المتصوفة بالشريعة الإسلامية.

وأضاف، الخبير في الشأن الصوفي ونائب رئيس تحرير مجلة السياسة الدولية، في حواره مع «حفريات» أنّ تأثير الصوفية في الشارع العربي عموماً تراجع بقوة، مرجعاً ذلك إلى عدم قدرتها على إعادة التموقع مرة ثانية بعد سقوط جماعة الإخوان في مصر، فصلاً عن أنّ «انكفاء الصوفية على نفسها، وتحركها خلف السلطة في معظم بلدانها يجعلها تتحرك ببطء في مواجهة المخاطر».

ورغم بعض التفاؤل الذي أبداه مع اتجاه بعض الطرق الصوفية للعمل السياسي وتأسيس أحزاب ومشاركتها الانتخابات منذ ثورة ٢٥ يناير، وتأسيسها لصفحات تواصل اجتماعي ومواقع إلكترونية، رأى الإسناوي أن ذلك لا يعني تحركها من مرحلة السكون التي تعيش فيها منذ عشرات السنين.

> **المدركات الذهنية عند عناصر داعش وفي أدبياته تظل مهددات رئيسية للمتصوفة إن وجدت الفرصة**

وهنا نص الحوار:

في مرمى الإرهاب

*** يشن تنظيم داعش من حين لآخر هجمات تهديدية للطرق الصوفية والمتصوفة في مصر، مع أن كثيراً من المراقبين يؤكدون تراجع المد الصوفي في الحالة المصرية.. فما سبب هذه الهجمات؟**

قبل الإجابة عن أسباب تهديد وهجمات تنظيم داعش للطرق الصوفية في مصر، لا بد أن نشير إلى أن هذه الهجمات لم تخرج عن محافظة شمال سيناء، وخاصة في ثلاثين كيلومتراً مربعاً منها، وهي مرمى العمليات الداعشية بوجه عام، رغم أنّ أضرحة وزوايا الطرق الصوفية تتواجد بكثافة في الوادي والدلتا بعيداً عن سيناء، لكن يمكن القول إنّ استهداف «داعش» للطرق الصوفية يظل في أدنى معدلاته مقارنة باستهداف التنظيم للمتصوفة في ليبيا وأفغانستان وفي اليمن والعراق وسوريا، وإذا كان يتصور البعض تراجع المد الصوفي في الحالة المصرية، فإنه لا يمكن إغفال أنّ الصوفية في مصر متداخلة مع المكون القبلي والعائلي في المناطق البعيدة عن العاصمة سواء في المحافظات الحدودية أو في الوادي والدلتا، وهو ما يجعلها تتحمل

جـزءاً كبـيراً مـن تهديـدات «داعـش»، خاصـة وأنّ القبائـل والصوفيـة الذيـن هـم أحـد مكوناتهـا يظـلان داعمـاً رئيسـياً للدولـة متمثلـة في قـوات الجيـش والشرطـة في مواجهـة الإرهـاب، هـذا بالإضافـة إلى أنّ تنظيـم داعـش يكفّـر المتصوفـة ويسـتحل دماءهـم، ويعتـبر سـلوكياتهم مـن الشركيـات.

*** هـل تـرى أنّ التنظيمـات التكفيريـة سـتظل تضـع الصوفيـة عـلى أجندتهـا الصراعيـة في الفـترة المقبلـة، وأنّ هـذا الاسـتهداف يمكـن أن يمتـد ليشـمل مراكـز تجمعـات أخـرى للصوفيـة خـارج سـيناء؟**

رغـم أنّ عـدداً كبـيراً مـن الأضرحـة الصوفيـة متواجـد على الطـرق السريعة بـين المحافظـات، وفي مناطـق جبليـة مـن صعيـد مـصر، وفي المناطـق الواقعـة بـين القـرى والنجـوع، وكلهـا أماكـن قليلـة السـكان ممـا يسـهل اسـتهدافهم مـن

> **الخطاب السلفي رسّخ لدى أنصاره والعديد من التنظيمات المتطرفة والعنيفة التشكيك في التزام المتصوفة بالشريعة الإسلامية**

قبل التنظيم أو من يتعاطف معه، إلا أنّ هذا لم يحدث، لكن المدركات الذهنية عند عناصر التنظيم وفي أدبياته تظل مهددات رئيسية للمتصوفة إن وجدت الفرصة، خاصة وأنّ التنظيم يلعب على خلق انقسام مجتمعي، بعد أن فشل في استخدام ملف الأقباط.

وإذا تطرقنا إلى الصوفية في أجندة «داعش»، سنجدهم احتلوا جزءاً كبيراً من أدواتهم الإعلامية في الفترة الأخيرة، سواء بتهديد مباشر للشخوص؛ حيث قتل التنظيم الشيخ سليمان أبو حراز أكبر شيوخ سيناء، أو غير مباشر عن طريق هدم محرماتهم كالأضرحة؛ حيث هدموا ضريح الشيخ سليم أبو جرير بقرية مزار غرب العريش، وضريح الشيخ حميد بمنطقة المغارة وسط سيناء. بالتالي يمكن القول، إنّ الصوفية ما تزال على رأس قوائم «داعش» وفقاً للرسالة الإعلامية التي أطلقها التنظيم لعناصره عبر أحد إصداراته، والتي فيها تحريض واضح وصريح على قتل المتصوفة باعتبارهم مشركين وينشرون البدع.

لكن أتصور أنه من الصعوبة أن تستهدف «داعش» المتصوفة خارج سيناء، خاصة وأنّ التنظيم فشل بوجه عام في التمركز أو التواجد أو القيام

بضربـات في صعيـد مـصر أو الدلتـا باسـتثناء جنـوب الجـيزة، الـتي تخلـو مـن الصوفيـة والمتصوفـة وأضرحتهـم نظـراً لقـوة التيـار السـلفي فيهـا، ومنطقـة الواحـات. بالتـالي لـن يتمكـن «داعـش» مـن اسـتهداف متصوفـة أو زواياهـم في الصعيـد باعتبارهـم جـزءاً مـن التركيبـة القبيلـة والعائليـة الصلبـة الـتي تعـد أحـد فواعـل الأمـن والسـيطرة في جغرافيتهـا.

*** صرح المتحـدث الرسـمي للطريقـة الجريريـة في حـوار سـابق مـع (حفريـات) أنهـم سـيحملون السـلاح في مواجهـة التكفيريـين في سـيناء، وأنّهم لـن يصمتـوا إزاء مـا يتعرضـون لهـم مـن هجمـات.. هـل تـرى جديـة في هـذه النوايـا؟**

مـن الـضروري أن نؤكـد هنـا عـلى أن الدولـة المصريـة لـن تسـمح للقبائـل أو العائـلات في سـيناء أو في غيرهـا مـن محافظـات مـصر بحمـل السـلاح في مواجهـة العنـاصر الإرهابيـة، وإن كان دورهـم يقتـصر عـلى التعـاون ومسـاندة قـوات الجيـش والشرطـة في مواجهـة تلـك العنـاصر. وإذا دققنـا النظـر في عمليات «داعـش» الأربـع ضـد صوفيـة سـيناء سـنجدها وقعـت في فـترات زمنيـة متباعدة، حيـث وقعـت العمليـة الأولى المتمثلـة في تفجـير الضريحـين للشـيخين سـليم وحميـد في آب (أغسـطس) ٢٠١٣، ووقعـت العمليـة الثانيـة المتمثلـة في قتل الشـيخ سـليمان في تشريـن الثـاني (نوفمـبر) ٢٠١٦، وبعدهـا بعـام وقعـت العمليـة الأخـيرة المتمثلـة في تفجـير مسـجد الروضـة- وهـو مـا يعـنى تراجـع قـدرات التنظيـم ضـد الصوفيـة وغيرهـم. ورغـم عـدم قيـام «داعـش» باسـتهداف المتصوفـة

منذ ما يقرب من خمسة أشهر بسبب شل الدولة المصرية لحركته في سيناء وفي غيرها من المناطق التي كان ينشط بها منذ أكثر نصف العام، فإنه لا يمكن الإنكار أن المتصوفة قادرون على حماية أنفسهم وزواياهم، لأنّهم كما ذكرنا من قبل جزء رئيسي من التركيبة القبيلة والعصبية في مصر ، والقادرة عن فرض الأمن والاستقرار في مناطقها رغم عدم حمل الصوفية للسلاح في مصر.

عداء سلفي قديم

*** يتعرض الصوفيون في كثير من البلدان للعديد من الهجمات التي تستهدف رموزهم أو أضرحتهم من قبل المتطرفين .. إلى ماذا ترجع ذلك؟**

تأثير الصوفية كأفراد أو مؤسسات أو طرق في الشارع المصري أو العربي باستثناء دولتي المغرب والسنغال تراجع بقوة

كل التنظيمات العنيفة من القاعدة إلى «داعش» استهدفت الصوفية؛ ففي الصومال استهدفتهم حركة شباب المجاهدين التي تتبع فكرياً تنظيم القاعدة، وفي ليبيا استهدفهم تنظيم داعش، والسلفية المدخلية في الشرق الليبي، أما في العراق وسوريا فتم استهدافهم من قبل «داعش» أيضاً، وفي اليمن من تنظيم أنصار الشريعة التابع لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وفي مالي تعرضوا لهجمات من تنظيم أنصار الدين التابع فكرياً لتنظيم القاعدة.

وأتصور أنّ التنظيمات العنيفة تستهدف العناصر المتصوفة أو أضرحتهم وزواياهم لنفس الأسباب، التي تتراوح بين تكفيرهم واعتبارهم مبتدعة وضالين، وهو السبب الرئيسي الذي تتبناه السلفية المدخلية في ليبيا. أو نتيجة لضعف الصوفية في بلدان الصرعات ليبيا واليمن وسوريا وخروجهم من المعادلة السياسية والعسكرية في تلك البلدان، بالإضافة إلى أنّ بعض هذه التنظيمات تحاربهم وتقتلهم من منطلق الصراع السني الشيعي، بزعم أنّهم ناشرون للفكر المتشيع وأنه يحب القضاء عليهم، لذلك نرى أنّ هذه التنظيمات ترتكب أبشع الجرائم ضد المتصوفة من حرق أضرحة وتفجيرها وأشعال النار فيها، إلى جانب خطف بعض شيوخها كما حدث في ليبيا.

*** هـل تـرى أنّ التيـار السـلفي في عمومـه مسـؤول عـن تدشـين القواعـد المتطرفـة، الـتي بـنى عليهـا التكفيريـون شرعيتهـم المزعومـة في اسـتهداف الصوفيـين؟**

نعـم، العـداء السـلفي للمتصوفـة قديـم، كمـا أنّ الخطاب السـلفي رسـخ لـدى أنصـاره، وللعديـد مـن التنظيمـات المتطرفـة والعنيفـة التشـكيك في الـتزام المتصوفـة بالشريعـة الإسـلامية، بـل ويغـالي بعـض المتسـلفة أنّ الصوفيـة يتحللـون مـن الشريعـة الإسـلامية كليـا؛ بالتـالي يمكـن القـول إنّ هـذا الخطـاب العـدائي جعـل التنظيمـات الـتي تقاتـل الصوفيـة الآن تنظـر إليهـم عـلى أنّهـم كفـار وأهـل شـعوذة وسـحر ، ويجـب قتلهـم.

فشل سياسي ومستقبل قلق

*** في كل مـرة تتصاعـد فيهـا الموجـات الإرهابيـة يـدور الحديـث عـن دور للصوفيـة في مواجهـة التطـرف، هـل تـرى جـدوى في اسـتدعاء الصوفيـة للدخـول في تلـك المواجهـة؟**

مـن الـلازم أن نشـير هنـا إلى أنّ تأثـير الصوفيـة كأفـراد أو مؤسسـات أو طـرق في الشـارع المـصري أو العـربي باسـتثناء دولـتي المغـرب والسـنغال، تراجـع بقـوة، وقـد يكـون السـبب الرئيـسي في تراجـع هـذا الـدور هـو عـدم قـدرة الصوفيـة عـلى إعـادة التموقـع مـرة ثانيـة بعـد سـقوط جماعـة الإخـوان في مـصر، وتراجعهـم في دول الثـورات العربيـة والشـمال الأفريقـي. كمـا أنّ انكفـاء الصوفية

عـلى نفسـها، وتحرّكهـا خلـف السـلطة في معظـم بلدنهـا يجعلهـا تتحـرك ببـطء في مواجهـة المخاطـر. وإذا عدنـا إلى الـوراء قليـلاً سـنجد الصوفيـة فشـلت عنـد اسـتدعائها سياسـياً بعـد ٢٠١٣ لسـد فـراغ جماعـة الإخـوان. والأخطـر مـن ذلـك، هـو أنّ الصوفيـة غـير مقبولـة إلا عنـد أصحابهـا ومريديهـا وهـؤلاء لـم يرتكبـوا العنـف أبـداً، ولـم يحملـوا السـلاح في وجـه الدولـة، بالتـالي تعتـبر الصوفيـة مرفوضـة مـن قبـل المتشـددين الذيـن يكفّرونهـا، وهـذا يعـني أن اسـتدعاء الصوفيـة لمواجهـة التطـرف والعنـف قـد يكـون تجـاوزه الزمـن.

*** هـل تلاحـظ ارتفاعـاً لأسـهم مـن يطلـق عليهـا الصوفيـة العلميـة عـلى حسـاب الصوفيـة الطرقيـة؟ وبـم تفـسر اتجـاه رمـز ديـني كالشـيخ عـلي**

جمعة لاستحداث طريقة جديدة، وهل هذا مؤشر كما يرى البعض لدخول الشيخ عالم الطرق لمحاولة إصلاحه؟

أتصور أنّ الاتجاه الغالب في الصوفية المصرية هم صوفية الزوايا المنتشرون في المحافظات، وهؤلاء أكبر تأثيراً من صوفية الطرق وإن كان بينهما رابط، وأقصد بصوفية الزوايا أبناء المشايخ المؤثرين في محافظاتهم وأماكنهم، وكلامهم مسموع بين مريديهم وغيرهم، بل يلعبون دور قوى في ضبط الأمن ويساندون وزارة الداخلية في تخفيف معدل الصراع القبلي والعائلي في المحافظات الريفية، وأمثال هؤلاء الشريف إدريس السيد الإدريسي، والشريف تقادم بمحافظة أسوان.

أما ما يتعلق بإصلاح الطرق الصوفية ومواجهة التطرف والتشدّد عن طريق نموذج الصوفية العلمية الذي بدأه الشيخ علي جمعة، فلا بد من الإشارة إلى أنّ مفهوم الصوفية العملية يعني أن باقي الطرق الصوفية غير علمية، وهذا من الخطأ؛ حيث إنّ جميع الطرق الصوفية، ومنها الطريقة الصدقية العلية الشاذلية، مرجعها واحد، وجميعهم لديهم مريدون وأتباع من المتعلمين والفقهاء والأزهريين وأساتذة الجامعة، بالتالي أعتقد أنّ طريقة الشيخ علي جمعة التي تمثل الصوفية العلمية لن تستطع إعادة تموضع الصوفية المصرية في مسارها الصحيح.

> **الاتجاه الغالب في الصوفية المصرية هم صوفية الزوايا المنتشرون في المحافظات وهؤلاء أكبر تأثيراً من الطرقية**

*** هل لدى الصوفية في مصر رموز قادرة على إعادة أحيائها أو إصلاحها أم ترى أنّ هناك مشاكل بنيوية داخل التركيبة الصوفية الحالية يصعب معها ذلك؟**

لا ننكر أنّ الصوفية المصرية بها رموز قادرة على إحيائها، لكن أزمة الصوفية المصرية وطرقها ليس في رموزها، وإنما في تعددها وعدم تواصلها وتماسكها، كما أنّ بعضها مغيّب عن الواقع ويغرد في الماضي، ويرجع عدم اشتباك الصوفية بقوة مع الشارع المصري إلى مشاكل بنيوية تسبب فيها القانون الذي ينظم عملها رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦، حيث يخضعها لمجلس أعلى يتحكمها فيها، وتشبه سلطة العقاب والصواب في هذا المجلس الأحزاب السياسية، وهو ما يؤدّي إلى شخصنة هذه الطرق مثل الأحزاب في مصر، وعدم تجديد دمائها، كما أنّ البناء الهرمي الذي تقوم عليه الطرق الصوفية، يساعد على تشرذمات تلك الطرق بدلاً من تماسكها، وهذا أدّى إلى هجرة المريدين منها إلى الزويا، وإلى الصوفية غير الطرقية؛ أي السائلة التي تتحرك خلف مشايخ المديح، ولا يتبعون طرقاً بعينها.

*** هـل مشـكلة الصوفيـة في الفقـر أم التوريـث أم في تكلـس خطابهـا أم تبعيتهـا للسـلطة؟ وهـل تراجعـت الصوفيـة في مـصر فقـط أم في العالـم ولمـاذا؟**

أغلـب الطـرق الصوفيـة في مصر ليسـت فقيرة، وإن كان سـوء البنـاء الهرمي لهـا يتسـبب في تمركـز المـال في المقـرات الرئيسـية الـتي يديرهـا مشـايخ الطـرق، ومشـكلة الصوفيـة الرئيسـية تتمثـل في عـدم تجديـد دمائهـا، وهـذا مـرض ناتـج عـن ظاهـرة التوريـث وفكـرة الولايـة الدائمـة لأهـل الطريقـة، وهـو مـا يـؤدى إلى هـروب أتباعهـا لأنهـم يدركـون أنّ الـبركات لا تـورّث. وهنـاك سـبب آخـر في تراجـع الصوفيـة في مـصر، وفي بعـض دول الشـمال الأفريقـي كتونـس والجزائـر، هـو خضـوع الطـرق الصوفيـة للسـلطة وعـدم دعـم السـلطة لهـا لأنّهـا تـدرك محدوديـة تأثيرهـا في العمليـة السياسـية، وفي مواجهـة التيـارات الدينيـة الأخـرى، لكـن تراجـع دور الطـرق الصوفيـة وانخفـاض عـدد أتباعهـا ومريديهـا في مـصر منـذ نهايـة الثمانينيـات، لا يعـني ثبـات حالهـا أو تطـوره في بلـدان أخـرى كثـيرة باسـتثناء دولـتي السـنغال والمغـرب اللتـين تشـهدان حـراكاً صوفيـاً في الشـارع، وإن كانـت حالـة دولـة السـنغال تختلـف عـن دولـة المغـرب في ممارسـة الصوفيـة للسياسـة.

مشكلة الصوفية الرئيسية في عدم تجديد دمائها نتيجة ظاهرة التوريث وفكرة الولاية الدائمة لأهل الطريقة

*** هـل حقـاً هنـاك صوفيـون جـدد في مـصر ، وأنّ هنـاك رمـوزاً صوفيـة قادمـة مـن الخلـف، أم أن العـصر الصـوفي دخـل في حالـة أفـول؟**

لا أتوقـع قـدوم رمـوز صوفيـة مـن الخلـف طالمـا أنّ الطـرق الصوفيـة تـورّث، والـبركات تـورّث، لكـن هنـاك جيـل جديـد مـن المتصوفـة في مـصر بـدأت تجمعـه صفحـات التواصـل الاجتماعـي، ولا يمكـن إغفـال أنّ الصوفيـة المصريـة تجمـع فئـات ومسـتويات عمريـة متنوعـة، وبهـا شـباب جامعـي قـد لا يتبـع طرقـاً بعينهـا، لكنـه متصـوف بالفطـرة، منهـم أطبـاء ومهندسـون ومستشـارون وصحفيـون وضبـاط، وتشـهد الحالـة الصوفيـة المصريـة أيضـاً تزايـد ظاهـرة النسـاء المتصوفـات، خاصـة بـين الشـباب، ورغـم اتجـاه بعـض الطـرق الصوفية للعمـل السـياسي وتأسـيس أحـزاب ومشـاركتها الانتخابـات منـذ ثـورة ٢٥ ينايـر، وتأسيسـها لصفحـات تواصـل اجتماعـي ومواقـع إلكترونيـة، فـإنّ ذلـك لا يعـني تحركهـا مـن مرحلـة السـكون الـتي تعيـش فيهـا منـذ عـشرات السـنين.